

مسرحيات من فصل

- ١ - أغنية التّم .
٢ - الدُّب .
٣ - مفجوع رغم أنفه .
٤ - ضرر التبغ .

أغنية التّم

أشخاص الرواية :

قاسيلي قاسيليفتش سفتلوفيدوف ، ممثل هنزلى ، له من العمر ثمان وستون سنة .

نكيئا إيفانيتش ، ملقن المسرح ، شيخ أيضاً . . .
(تجرى الرواية داخل مسرح ريبى ليلا . وذلك بعد الانتهاء من حفلة التمثيل . المسرح خاو . وإلى اليمين منه عدة أبواب غير مزينة وقد ثبتت بلا إحكام ، وكلها تؤدي إلى غرفة التزيين والملبس ، وفي صدر المسرح ، وإلى يساره ، أكوام من سقط المتاع . وفي وسطه مقعد مقلوب . الوقت ليل . . . ظلمة حالكة
سفتلوفيدوف ، فى لباس المخرج ، يخرج من غرفة التزيين والملبس ، يحمل شمعة بيده ويقهقه)

سفتلوفيدوف : حقاً . . . إنها لنكتة . . . بل مهزلة المهازل . . . لقد غفوت فى غرفة التزيين والملبس . . . انتهى التمثيل منذ وقت طويل وخرج كل من كان فى المسرح . وأما أنا ، فبقيت فى مكانى هادئاً . . . أرسل الشخير تباعاً ، إيه أيها الشيخ المتضجر . . . إنك لأشبه بكلب عتيق . . . تكومت على كرسيك وغفوت . . . إنك

لرجل ذكى تستحق الثناء (يصرخ) إيغوركا ! . . إيغوركا ! . .
 يا للشيطان . . أين أنت يا بتروشكا ! . . أغفوتما أيها اللعينان ؟ . .
 فليتنفس من فيكما مائة شيطان وعقرت . . إيغوركا ! . . (يعدل
 المتعد ، ويجلس عليه ويضع الشمعة على الأرض) : لا أسمع شيئاً
 سوى الصدى . . فقدت اليوم كلاً من إيغوركا وبتروشكا ثلاثة
 روبلات مقابل ما أبدياه من جهد في التمثيل ثم خرجا . . وهيات
 أن أعر عليهما وأو بمساعدة كلاب الأثر . . ويغلب على ظني
 أن هذين اللعينين أقنلا على باب المسرح (يهز رأسه) إنني ثمل . .
 أف . . كم صببت في جوفي من النبيذ والجمعة من أجل « الجمعية
 الخيرية » يا لله . . إنني أشعر كأن النار تلتهم جسمي . . وكأن
 اثني عشر لساناً تهجع في فمي . . إنه لأمر مستقبح حقاً (يتوقف)
 يا للغباوة . . . سكرت أيها الأحمق العتيق (يخاطب نفسه) لقد
 كنت وأنت تجرع الخمر فرحاً مسروراً دون أن تدرك الداعى
 لسرورك هذا . . أف . . رباه . . إن خاصرتي تتمزقان ، ورأسى
 يتصدع ، والعرشة تنتاب جسمى كله ، ونفسى فاترة قاتمة . . .
 وكأنها ترقد في أعماق قبر . . فإذا كنت لا أشفق على نفسى ،
 فعلى الأقل أن أشفق على شيخوختى . . (يتوقف) أجل . .
 الشيخوخة ، فكيفما راوغت وتشجعت وماجنت فلقد عشت أيامى . .
 ثمان وستون سنة انصرفت . . بخ . . بخ . . احتراماتى ! . . لامفر
 من النهاية . . لقد أفرغت الزجاجة كلها في جوفى ، ولم يبق في
 قعرها إلا الشىء القليل ، والقليل جداً . . بقيت الثمالة . . أجل . .
 هكذا هي الحياة يا فاسيوشا . . فعليك - سواء أردت أم لم ترد -
 أن تعود نفسك تمثيل دور الموت ! . . وهل ملك الموت في مكان
 قصى ؟ (يتطلع إلى الأمام) ويلاه . . إننى أشاهد لأول مرة هذا

المسرح في ظلمة الليل . بالرغم من مضي خمس وأربعين سنة على عملي فيه . حقاً إنه لشيء طريف (يقترب من صف الأنوار) لا أرى شيئاً . . . غير أن كوة الملقن تراءى لناظري قليلاً ، وهذا هو صندوق الرسائل ، ومقرأ النوتات أيضاً . . . وكل ما تبقى ظلام حالك بل هوة دكناء سحيقة . . إنها لأشبه بالقبر الذي يختفي فيه الموت . . (أحم) . . ما هذا البرد ؟ . . ريح تهب في قاعة المسرح كما تهب في مدخنة الموقد . . هاهنا المكان الحقيقي الذي تستدعي فيه الأرواح . . يا للشيطان . . إنها لحالة مرعبة تسرى الرعدة في الجسم . (يصرخ) : إيغوركا ، بيتروشكا . . يا للأبالسة . . أين أنتم ؟ . . رباه . . مالي أردد هذه الشتائم ؟ على ألا أستعمل الألفاظ النابية . . وأن أهجر الحمر . . لقد أصبحت طاعناً في السن وحانت ساعتي . . فالناس في الثامنة والستين من عمرهم يتفرغون إلى الصلاة والعبادة ، ويتأهبون لاستقبال الموت . . وأما أنا . . آه . . يا إلهي لا أزال أردد العبارات البذيئة ، وهيئة سكير مدمن ، وهأنذا أرتدى رداء المجنون . . كلا . . على أن أسرع وألتي بهذا الرداء جانباً ، يا للهول إني إن بقيت على هذه الحالة طيلة الليل فيحتمل أن أهلك رعباً (يذهب إلى غرفة التزيين والملبس ، وفي هذا الوقت يخرج نيكيتا إيفانيتش من غرفة التزيين وهو يرتدى رداء أبيض اللون) . .

سفتلوفيدوف : (يرى نيكيتا إيفانيتش ، فيصرخ من الذعر ، ويرتد على عقبه) من أنت ؟ . . ماذا تريد ؟ . . من تريد ؟ . . (يضرب الأرض بقدميه) من أنت ؟ . .

نيكيتا إيفانيتش : هذا أنا !

سفتلوفيدوف : من أنت ؟

نيكيئا إيفانيتش : (يقرب منه على مهل) هذا أنا ، الملقن نيكيئا إيفانيتش .

سفتلوفيدوف : (يرتجى على المقعد خائر القوى ، ويتنفس بمشقة وهو يرتعش فرقاً) رباه من هذا ؟ أنت نيكييتوشكا ؟ ماذا تفعل هنا ؟ نيكيئا إيفانيتش : إننى أقضى الليل فى غرفة التزيين ، فرجأئى إليك ألاّ تطالع ألكسى فوميتش على جلية الأمر . . . ثق بأننى لا أجد مكاناً آوى إليه .

سفتلوفيدوف : آه يانيكييتوشكا . . . دعانى الجمهور هذه الليلة ست عشرة مرة للظهور على المسرح ، وقدّم لى ثلاث باقات من الزهور ، وأشياء كثيرة أخرى . . . لقد كاد الناس يطرون فرحاً . . . لكن أحداً منهم لم يحاول إيقاظ هذا الشيخ السكير ولم يحمّله إلى بيته . . . نيكييتوشكا . . . إننى شيخ . ولى من العمر الآن ثمان وستون سنة . . . إننى مريض . . . ونفسى يتلاشى شيئاً فشيئاً . . . (يلقي بنفسه على كتف الملقن ويبكى) لا تذهب يا نيكييتوشكا إننى شيخ عاجز . . . لقد حانت ساعتى يا للهول . . . يا للهول . . .

نيكيئا إيفانيتش : (بلطف واحترام) فاسيلى فاسيليتش . . . لقد آن لك أن تعود إلى بيتك هيا . . .

سفتلوفيدوف : لن أذهب . . . ليس لى بيت . . . كلا . . . كلا . . .

نيكيئا إيفانيتش : رباه . . . أنسيت أين تسكن ؟
سفتلوفيدوف : لا أريد الذهاب إلى بيتى لا أريد . . . إننى وحيد ولا أهل لى ولا أقارب . لا زوجة لى ولا أطفال . . . إننى وحيد مثل الهواء فى الحلاء ! . . . سأموت ولن يذكرنى أحد . . . إننى أخشى البقاء فى بيتى وحيداً . . . ليس هناك من يشمل هذا السكير بعنايته . . .

ليس له من يهدده ويحمله إلى فراشه . . . فمن أنا ؟ وأى نفع يرجى مني ؟ ومن يحبني ! لا يحبني أحد يا نيكيتوشكا . . .

نيكيتا إيفانيتش : (بعين دامعة) كفاك أن الجمهور يحبك !
سفتلوفيدوف : لقد خرج الجمهور بعد التمثيل وتفرق ، إنه يغط في نومه الآن وقد أسدل ستار النسيان على ممثله الهزلي ، كلا . . . إنني أصبحت على هامش الحياة . . . وليس لي من يحبني فلا زوجة لي ولا أطفال . . .

نيكيتا إيفانيتش : أهذا هو ما يحزنك ؟

سفتلوفيدوف : إنني إنسان مخلوق حي . . . وتجري في عروقي دماء لا ماء !
إنني شريف ومتحدر من أرومة كريمة . . . كنت قبل أن أتردى في هذه الهوة جندياً في مدفعية الجيش ، كنت شاباً قوياً جميلاً أميناً جريئاً متحمساً . . . رباه أين ذهب ذلك كله ؟ وأى ممثل كنت فيما مضى من الأيام ؟ (ينهض مستنداً إلى يد الملقن) أين ذهب ذلك كله ؟ أين هي تلك الأيام ؟ . . . رباه إنني لأطلع إلى هذه الهوة الآن وأذكر كل شيء ، لقد ابتلعت هذه الهوة خمساً وأربعين سنة من حياتي ، وأية حياة حافلة كانت يا نيكيتوشكا ؟
إنني للأسد نظري إلى أعماق هذه الهوة فأرى فيها كل شيء واضحاً بجميع دقائقه ، أرى مرح الشباب والإيمان ، وحرارة العواطف ، وحب النساء ، أجل . . . النساء يا نيكيتوشكا . . .

نيكيتا إيفانيتش : آن لك أن تنام . فاسيلي فاسيلتش ، هيا . هيا . . .
سفتلوفيدوف : أذكر أنه حدث - لما كنت ممثلاً فتيماً ، وكانت حرارة عواطفني في أوجها - أن أعربت لي إحدى الفتيات عن إعجابها بتمثيلي وأحبتني . . . كانت فتاة رشيقة ، ممشوقة القد كشجرة الحور ، غضة ، بريئة ، شريفة ، تلهب غيرة مثل فجر الصيف ، فابتسامتها

اللطيفة تتألق نوراً ، وعيناها الزرقاوان تشعان بالبريق ، لو سلطتا على ظلام حالك لبددناه وانتشر الضياء . إن أمواج البحر تتكسر على الصخّور ، ولكن على أمواج شعرها المجدد تتكسر الجلاميد وكتل الجليد ! . . . أذكر مرة أنى وقفت أمامها، كما أقف أمامك الآن وكانت رائعة وفتند أكثر من أى وقت مضى؛ فألقت على نظرة لن أنساها حتى فى القبر ، كلها دلال . . . قطيفة مخمل . . . عمق بريق . . . صبا . . . سكرت لمراها هذا ، وسقطت أمامها راکعاً ، وقد غمرنى شعور بأنى أسعد مخلوق (يتابع بصوت خافت) وكانت تقول لى : اهجر المسرح . . . اه . . . جر . . . ال . . . مس . . . ر . . . ح . . . أتفهم ما أقوله لك ؟ . كان بوسعها أن تحب ممثلاً لكنها أبت على نفسها أن تكون زوجة له . . . وأذكر أنى مثلت فى ذلك اليوم دور الماजन المنحط . . . كنت أقوم بدورى وأحس أن عيني تتفتحان على حقيقة ما . . . لقد أدركت إذ ذاك أن ما يسمونه فناً مقدساً إن هو إلا خداع وهذيان ، وأنى لست إلا عبداً مهرجاً وألعوبة يتلهى بها الناس . . . أجل فهمت الجمهور وقتئذ فلم أعد أثق بالتصفيق ولا بباقات الزهور ، ولا بالتظاهر الحماسى . . . كان الجمهور يصفق لى ويبتاع رسمى ومع ذلك كنت غريباً عنه ، بل رجساً ، فاجراً على وجه التقريب ، كان يتحكك بى ويتعرف إلى لإرضاء خيالاته فقط ، لكنه لا يتنازل أن يزوجنى إحدى شقيقاته أو بناته . . . إننى لا أصدق الجمهور (يهبط على المقعد) إننى لا أثق به . . .

نيكىتا إيفانيتش : لقد ضمير وجهك يا فاسيلي فاسيليتش فغدوت مخيفاً . أرجوك أن تذهب معى إلى بيتك . . .

سفتلوفيدوف : كنت فى شبابى أتمتع بتمام صحتى وعافيتى ، وبعد تلك

القصة - قصة الفتاة - أصابني السقم ، وأخذت أتسكع بلا هدف ،
وأعيش مضطرباً ذاهلاً . لقد مثلت أدوار الهازلين الماجين ،
فأفسدت العقول والنفوس ، فانحط لساني واعوج ! . . . وفقدت
صورتي وملامي ! . . . لقد مضغتني تلك الهوة السوداء وابتلعنتي . . .
إنني لم أشعر بذلك سابقاً وأما اليوم فقد استيقظت فتطلعت إلى
الحلف فوجدت نفسي أجز ثمانى وستين سنة . وجدت الشيخوخة .
لقد غنيت أغنيتي (ينتحب) لقد غنيت أغنيتي . . .

نيكيئا إيفانيتش : عزيزى قاسيلى قاسيليتش . . . أبتاه . . . هدى من
روحك (يصرخ) بتروشكا ! . . . إيغوركا ! . . .

سفتلوفيدوف : لدى المواهب ، والقوة ، والفصاحة ، وفى هذا الصدر
(يدق بقبضته على صدره) أوتار جمة تصدح بجميع الألحان ،
آه . . . سأختمق . . . اسمع أيها الشيخ . . . دعنى أتنفس قليلاً . . .
اسمع هذا المقطع من رواية « بوريس غودونوف » :

« ظل إيفان الرهيب تبنانى . . .

ومن القبر أحيا ديمترى . . .

وبذا الاسم دعانى . . .

هيج الشعوب إلى جانبي .

وكان « بوريس » من قربانى . . .

أنا ولى العهد . . . كفانى الرضوخ لتلك البولونية المعتزة . . .

كفانى . . . » .

والآن (بسرعة) قف . . . استمع إلى هذه المقطوعة . . .

من « الملك لير » تصور سماء تكاثفت فيها الغيوم القائمة . . .

والمطر يهطل . . . والرعد ر ر ر . . . والبرق ز ز ز . ثم :

« اغضبى أيتها الرياح . . .

واعصني . . حتى تتمزق الوجنات . .
 وأنت أيتها المياه الهاطلة . .
 تدفقي كريح زعزع . .
 واغمري الأبراج
 وابلغي "ديك الرياح" . .
 وأنت أيتها النيران الكبريتية المتأججة . .
 يا مكتسحة الأحراج . .
 يا نذيرة سهام الرعود القاصفة . .
 هبتي فوق رأسي . . وألبي شيبتي
 وأنت أيتها الرعود السماوية المزعزعة
 انقضي على الطبيعة دفعة واحدة .
 واسحقي الكرة الأرضية بأمرها . .
 وبعثري في الهواء تلك البذور
 التي تلد الناس الكافرين بالنعمة

(على عجل) إلىَّ إلىَّ بكلمات النديم . . هات جواب النديم إذ
 ليس لدى متسع من الوقت

نيكيتا إيفانيتش (يمثل دور النديم) : « إيه إشبيني . . أفضل لك أن
 تقبع تحت سقف البيت من أن تتسكع في الخارج تحت هذا المطر
 المنهمر . . فنصيحتي لك أيها العم أن تسأل بناتك الصفيح ، فهذه
 ليلة ممطرة ، لا تميز في مصيبتها بين الحكيم والأحمق » . . .

سفتلوفيدوف : « وأنت أيتها النيران والعواصف . .

أزاري بكل ما أوتيت من قوة . .

اعصني ، وحطمي ، واحرقني . .

فما الذي يدعوك إلى الشفقة بي ؟ . .



أنتن لستن بناتى . .

ولن ألومكن على قسوتكن . .

ولستن من أورثتهن ملكى . .

وأوليتهن حنانى وعطفى . .

قوة . . موهبة . . فنان . . لناخذ شيئاً آخر قديماً يهزّ العواطف .
لناخذ مقطوعة من «هاملت» . . (يقهقهه بملء شذقيه) سأشرع ،
هياً (يمثل دور هاملت) . «ها هم أولاء العازفون على المزمار . . .
هات المزمار (يوجه الكلام إلى نيكيتا إيفانيتش) يخيل إلى أنك
تضايقنى كثيراً » .

نيكيتا إيفانيتش : «ثق أيها الأمير أن الداعى لذلك كله هو حجبى لك
وإخلاصى للملك » .

سفتلوفيدوف : « إن هناك أموراً لا أدرك كنهها كل الإدراك . اعزف
لى شيئاً »

نيكيتا إيفانيتش : « لا أستطيع أيها الأمير » .

سفتلوفيدوف : « أناشذك الله أن تعزف شيئاً » .

نيكيتا إيفانيتش : « إننى لا أحسن العزف على المزمار بتاتاً » .

سفتلوفيدوف : « إن العزف على المزمار سهل كالكذب ! . . . خذ

المزمار بيديك هكذا ، وضع شفتيك هنا ، وأصابعك هناك . . .

واعزف . . . »

نيكيتا إيفانيتش : « إننى لم أتعلم العزف قط » .

سفتلوفيدوف : « احكم الآن أنت بنفسك . . من أنا بنظرك ؟ أتريد

أن تلعب بى وأنت عاجز عن اللعب بهذا المزمار ؟ . . . اعتبرنى

كما تهوى وتحب ، وبوسعك أن تديقنى مر العذاب ، لكنك لن

تستطيع اللعب بى ، (يضحك سفتلوفيدوف ، ويصفق ويخاطب نفسه قائلاً) : عافاك . . أعد ، عافاك ، يا للشيطان . . آية شيخوخة هذه ؟ . . إنه لمن السخف أن أدعوها شيخوخة . . وإنما هى قوة تجرى فى عروقى . . هذا هو الشباب . . النضارة . . الحياة . . فحيث تكون المواهب يا نيكيتوشكا لن يكون محل للشيخوخة . . آه . . وهنت قواى . . وخارت . قف دعنى أستعد شعورى . . آه . . يا إلهى . . رباه . . استمع الآن إلى هذه المقطوعة التى تطفح رقة وعدوبة ، إنها الموسيقى بعينها صه . . صه . . « أوكرانيا . . لياليها هادئة . . وسماؤها صافية شفافه . . ونجومها ساطعة برآقة . . لياليها تقهر الوسن . . وتأبى الهواء . . وتكتفى بالنسيم ليداعب أوراق شجر الحور الفضية . . » (يسمع قرقرة عند الباب ويصرخ) من هناك ؟ . .

نيكيتا إيفانيتش . . أظن أن بتروشكا وإيغوركا قد عادا . . مواهب يا فاسيلي فاسيليتش . . مواهب ! . . سفتلوفيدوف . . (يتطلع إلى الباب حيث القرقرة ويصرخ) إلى يا نسرئى . . (ثم يخاطب نيكيتا إيفانيتش) هيّا لترتد ملابسنا . . ليست هنالك آية شيخوخة ، وكل ما يقال فى هذا الصدد إن هو إلا لغو وهذر . . (يضحك مغتبطاً) ما الذى دهاك يا نيكيتوشكا . ما الذى يدعوك إلى البكاء ويحملك على التئنجع ؟ كلا أيها الشيخ كلا . . هذا أمر غير مستحب ، تشجع . ارفع رأسك (يحتضنه ودموعه تسيل على خديه) لا لزوم للبكاء ، فحيث الفن والمواهب ، لن يكون مجال للشيخوخة ، والعزلة . . والمرض ، بل الموت نفسه يكون بعيداً (يبكى هو أيضاً) إيه نيكيتوشكا . . لقد غنينا أغنيتنا . . وما هى المواهب التى بقيت لدينا . . إننى ليمونة قد عصرت ! . .

إننى أسطوانة من جليد مدلاة ! . . . إننى مسمار يعلوه الصدا . . .
 وأنت . . . أنت برزون مسرح عتيق . . . هيا بنا . . . (يذهبان)
 سفتلوفيدوف : أين هى مواهبى الآن ؟ إننى لم أعد أصلح للمسرحيات
 الجدية ، ولا للدور فى حواشى هذه المسرحيات . . . أتذكر ذلك
 المقطع من « عطيل » يا نيكيتوشكا ؟ « أسألك الصفح يا راحتى .
 ويارفاهيتى . . . واصفحوا عنى أيها الجنود . . . ويا معارك المجد
 والفخار . . . ويا حصانى الجموح . . . ويا دوى الطبول . . . ويا نداء
 الأبواق . . . وعلم المملكة . . . ويا مجالى الشرف والعظمة . . . ويا بطولة
 المقاتلين الأجداد . . . اصفحوا عنى جميعاً . . . »

نيكيتا إيفانيتش : مواهب . . . مواهب . . .
 سفتلوفيدوف : إليك هذا المقطع أيضاً من مسرحية « ويل من الحكمة »
 لغريبويدوف : « فلأنطلق من موسكو . . . إننى لن أعود إلى هذا
 المكان ثانية . . . إننى لأركض دون أن أتلفت يمناً أو يسرة . . .
 أركض فى هذا الكون باحثاً عن ركن تلجأ إليه الكرامة المهانة . . .
 هات العجلة . . . هاها . . . »

(يخرج مع نيكيتا إيفانيتش) .
 (ويسدل الستار ببطء) .

الدُّبُّ

أشخاص الرواية :

إيلينا إيفانوفنا بوبوفا - أرملة . على وجنتيها بعض النقر .
 غريغورى ستبانوفيتش سميرنوف - غنى فى العقد الرابع من عمره .
 لوقا - خادم بوبوفا ، شيخ طاعن فى السن .
 (فى بيت بوبوفا . وفى غرفة استقبالتها . بوبوفا فى لباس الحداد .
 تمسك بيدها صورة فوتوغرافية ، ولا ترفع النظر عنها ، ولوقا
 الخادم يقف أمامها) .

١

لوقا : مولاتى . . إنك لتجلبين الأذى لنفسك فقط . فالخادمة
 والطاهية خرجتا تتنزهان ، وتجمعان التوت البرى من
 الأحراج . وكل كائن حى . . يسر فى هذا الطقس اللطيف . .
 حتى إن قطننا تسعى إلى ما يسرها ، فها هى ذى تروح وتغدو
 فى الفناء تصطاد العصافير . .
 وأما أنت . . . فإنك تقبعين طيلة النهار فى الغرفة ، كأنك
 فى دير . لقد انقضت سنة كاملة ، وأنت حبيسة فى دارك .
 بوبوفا : لن أخرج من هذا البيت أبداً . . وما الذى يدعونى إلى
 الخروج ؟! . . انتهت حياتى ! فهو يرقد فى القبر ، وأنا

قبرت نفسي بين هذه الجدران الأربعة . فكلانا ميت ! . . .
 لا . . . لا سمح الله . . . يا مولائي . . . توفي الله تقولاى
 ميخايل وفتش : فهذه إرادته : والمرحوم ملكوت السموات .
 وأما أنت ، فقد حزنت على زوجك ما فيه الكفاية ، ولا
 يجوز لك أن تقضى العمر كله فى البكاء والنحيب . وأقول
 لك بهذه المناسبة : إن عجوزتى أيضاً قد توفاهها الله فى يوم من
 الأيام . . . فحزنت عليها ، وبكىتها شهراً . ثم سلوتها . . .
 لأن الحداد عليها طول العمر . . . لن يبعثها ثانية إلى الحياة
 (يتهد) . . . لقد نسيت جيرانك كلهم يا سيدتى ، وأقلعت
 عن الأسفار والرحلات ، وغدوت لا تقبلين الزائرين . . .
 وأستمحك العذر إن قلت لك إننا أصبحنا نعيش مثل
 العناكب ولا نرى للنهار ضوءاً . أما رداء خدمتى : فقد
 أكلته الفيران ، لعدم استعمالى إياه . . . ربما كنتِ على
 حق فى منهجك هذا لو لم يكن حواليك أناس طيبون ، غير
 أن المنطقة تعج بالسادة الأفاضل ، فى قرية ريبلوقة يعسكر
 طابور وضباطه يقطرون حلاوة . . . وهناك فى كل أسبوع
 حفلة راقصة وفى كل يوم تعزف الموسيقى العسكرية . . . إيه
 يا مولائي . . . إنك لصبية جميلة فاتنة . . . إنك مزيج من الدم
 والحليب . . . ولا ينقصك شىء سوى الحياة والابتهاج . . .
 فالجمال لا يمنح للمرء إلى الأبد . . . فإذا ما انقضت عشر
 سنوات ، من عمرك . . . وجدت نفسك تواقفة للتبختر فى
 الطرق . . . تجرين ثوبك الفضفاض ، وتثيرين الغبار فى
 أعين الضباط . . . فأسرعى . . . قبل فوات الأوان ! . . .

بوبوفا : (بإصرار) أرجوك ألا تعود إلى مثل هذا الحديث . .
 فأنت تدري تماماً أن الحياة فقدت كل قيمة في نظري منذ
 أن توفى نيقولاى ميخايلوفتش . وإذا ما تراءى لك أنى
 حياة ، يفما ذلك إلا مظهر خارجى لا غير . . لقد أقسمت
 بألا أنزع لباس الحداد وألا أشاهد النور حتى أنزل القبر .
 أسامع أنت ؟ . . فليكن شبحه شاهداً على ما أكنه له من
 حب . . أجل . . لا أفشى سرّاً إن قلت لك إنه كان يعاملنى
 معاملة جائزة قاسية . . بل لم يكن أميناً فى حياته الزوجية . .
 ومع ذلك . . سأظل مخلصه له حتى النفس الأخير .
 وسأبرهن له ، كيف يكون حبي له ، وسيرى فى ذلك العالم
 الآخر أنى ما زلت أمينة له ، كما كنت قبل مماته .

لوقا : أليس من الأفضل لك يا مولاتى أن تخرجى إلى الحديقة
 لتتنزهى بدلا من إضاعة الوقت فى مثل هذا الحديث ؟ . .
 أتأمرين أن أعد لك الحصان « توبى » أم « الهائل » ؟

بوبوفا : آه (تبكى) .

لوقا : مولاتى . . أماه « ماتوشكا » . . ما بك ! ليكن

المسيح معك . . .

بوبوفا : لقد أحب المرحوم الحصان « توبى » ، وكان دائماً

يمتطيه فى زيارته لأسرتى كورتشاغين وفلاسوف ، أتذكر

كيف كان يجذب بلحامه بشدة ، ويسوسه ببراعة تامة !

أتذكر تلك الطلعة الفروسية الجميلة؟ آه . . مسكين « توبى »

إنى أمر السائس بأن يقدم له حصه إضافية من الشوفان . . .

لوقا : تأمرين أمراً . . .

(رنين جرس عنيف)

بوبوفا : (وقد أصيبت برعدة) من ذا ؟ قل للزائر : إنني لا أقابل
أحداً أبداً . . .
لوقا : سمعاً وطاعة (يخرج) .

٢

(بوبوفا وحدها)

بوبوفا : (تنظر إلى رسم فوتوغرافي) ها أنت ذا ترى يانيقولاى كيف
أستطيع أن أحب وأسامح ، وثق بأن حبي لن ينطفيء إلا
عند ما يقف قبابي عن نبضه . (تضحك من خلال الدموع)
ألا تخجل من سلوكك نحوى ؟ . . . إنني زوجة أمينة ،
أقفلت الباب على نفسي ، وسأظل أمينة لك حتى القبر . . .
آه منك ألا تخجل من أفعالك ؟ لقد كنت تخونني ،
وتسبب لي المشاكل ، وتركني في البيت وحيدة أسابيع
بكاملها . . .

٣

(بوبوفا ولوقا)

لوقا : (يدخل مرتبكاً) في الباب رجل يريد مقابلة مولاتى .
بوبوفا : ألم تقل له إنني منذ وفاة زوجي لم أقابل إنساناً ؟
لوقا : قلت له ذلك ، إلا أنه أبقى الإصغاء إلى ، وقال إنه أتاك
في مسألة هامة جداً . . .
بوبوفا : إنني . . . لا أقابل زائرين أبداً .

لوقا : أفهمته حقيقة الأمر ، لكنه رجل ملحاح ، شتام ، اقتحم البيت عنوة ، وهو الآن في قاعة الطعام .

بوبوفا : (مضطربة) لا بأس ، دعه يتفضل . . يا له من جاهل . .
(يخرج لوقا)

بوبوفا : هؤلاء الناس ، صعب المراس . ما الذى يريدونه منى !
لماذا يعكرون على راحتي وهدوئي ؟ (تنهد) كلا . . لا بد من الانتقال إلى الدير (تتأمل قليلا) أجل إلى الدير .

٤

(بوبوفا ، لوقا ، سميرنوف)

سميرنوف : (يدخل ويخاطب لوقا) حقاً إنك لشيخ سمج ، ثرثار ، حمار ، (وإذ يرى بوبوفا ينحنى أمامها باحترام) سيدتى لى الشرف بأن أقدم لك نفسى . أنا غريغورى ستيبانوفيتش سميرنوف ضابط فى المدفعية متقاعد ، ومالك أراضٍ ، اضطرت إلى إزعاجك لسبب هام جداً

(دون أن تقدم له يدها) وما الذى تريده !

سميرنوف : كان لى الشرف بأن أكون من معارف المرحوم زوجك . وتوفى وهو مدين لى بمبلغ ألف ومائتى روبل ، ولما كانت على فوائد مستحقة الدفع غداً للبنك الزراعى أتيتك راجياً أن تتفضلى ، وتدفعى لى اليوم ، المبلغ المطاوب من زوجك .

بوبوفا : ألف ومائتا روبل ؟ ولأى شىء ؟

سميرنوف : هى ثمن الشوفان .

بو بؤفا : (تشهد وتقول للخادم لوقا) لا تنس يا لوقا أن تطلب من السائس أن يقدم حصّة إضافية من الشوفان للحصان «توبى».

(يخرج لوقا)

بو بؤفا : (تخاطب سميرنوف) إذا كان المرحوم نيقولاى ميخايلوفتش مدينأ لك بالمبلغ الذى ذكرته ، فمن البديهي أن أقوم بتسليده . لكننى الآن لا أحمل المبلغ المطلوب فأرجوك أن تنتظر إلى بعد غد حتى يعود وكيلى من المدينة وأمره أن يسدد الحساب . أجل ، لن أتمكن الآن من تلبية طلبك ولا بأية صورة كانت . يضاف إلى ذلك أن فى هذا اليوم تكتمل السنة على وفاة المرحوم زوجى ، وترانى فى حالة نفسية لا أرغب معها البحث فى مسائل مالية .

سميرنوف : وأنا الآن فى حالة نفسية أشعر معها بأننى إن لم أدفع الفوائد غداً للبنك الزراعى فستحجز أملاكى ، وستنقلب حياتى رأساً على عقب .

بو بؤفا : بعد غد فقط تقبض مالك . . .

سميرنوف : إننى بحاجة ماسة إلى المال اليوم ، وليس بعد غد .

بو بؤفا : المعذرة . إننى عاجزة عن دفع المبلغ اليوم .

سميرنوف : وإننى عاجز عن الاضطبار حتى بعد غد .

بو بؤفا : وماذا أفعل ما دمت عاجزة عن الدفع الآن ؟

سميرنوف : إذن أنت عاجزة عن الدفع ؟

بو بؤفا : أجل عاجزة .

سميرنوف : وهذه هى كلمتك الأخيرة ؟

بو بؤفا : أجل الأخيرة .

سميرنوف : الأخيرة نهائياً ؟

بوبوفا : نهائياً .
سميرنوف : أشكرك جداً . . . فلنحرر ذلك (يهز كتفيه) ويريدون مني

أن أكون هادئ الأعصاب . سيقابلني المحصل في الطريق
ويسألني : ما الداعي إلى غضبك هذا يا غريغوري
ستيبانوفيتش ؟ فأجيبه : حلمك . . وكيف لا أغضب ؟
إنني بحاجة قصوى إلى المال . . سمعت في طلبه منذ أمس
الباكر ، وعرجت على مديني جميعاً ، ولم يدفع لي أحد
منهم دينه . . لقد كدت أهلك مثل الكلب . . . قضيت
ليلى في العراء منطوباً على نفسي إلى جانب برميل ماء . . .
وأخيراً جئت إلى السيدة ميخايلوفيتش بعد أن قطعت مسافة
سبعين فرسخاً مسافراً على أمل أن أقبض ديني وإذا بها
تطعمني « حالات نفسية » ، أفلا يحق لي أن أغضب ؟

بوبوفا : أظن أنني قلت لك بصريح العبارة : عند ما يعود وكيلي ،
تقبض مالك . . .

سميرنوف : إنني لم آت إلى الوكيل وإنما أتيت إليك . ولأى عفرية
يلزمني وكيلك ؟ عفواً ! . . .

بوبوفا : إنني لم أعتد سماع مثل هذه العبارات النابية ، واللهجة
المستغربة ، ولن أصغى إليك أكثر مما أصغيت . . .
(تخرج بسرعة)

(سميرنوف وحده)

سميرنوف : يا للدلال . . . حالة نفسية . . . إن سنة انقضت على وفاة
زوجها . . . ولكن أينبغي أن أدفع الفائدة أم لا ؟ هه . . .
مات زوجها . . . وحالة نفسية . . . والوكيل سافر إلى مكان
ما . . . وغير ذلك من الخزعبلات . . . ما العمل ! أأفر من

أصحاب الديون في منطاد ؟ . . أم أضرب رأسي بالحائط ؟
 ذهبت إلى غروزديف فلم أجده في بيته وذهبت إلى
 ياروشينيتش فاختبأ ، وذهبت إلى كوريتسين فتشأتمنا وكدت
 أقذف به من النافذة . . . وذهبت إلى مازوتوفا فوجدتها مريضة
 بالكوليرا . . . وجئت إلى هذه وإذا هي في « حالة نفسية »
 لا تسمح لها بالدفع . . لم أقبض من هؤلاء الأشقياء شيئاً ،
 والسبب في ذلك أنني كنت قد دللتهم أكثر مما يستحقون . .
 أمربية أنا لهم أم خادمة ؟ أجل . لا طفهم في السابق كثيراً .
 وأما الآن ، فسيعرفوني . . إنني لن أسمح لأحد بممازحتي
 أبداً . وسأظل مقيماً هنا إلى أن أقبض حتى . إنني جدُّ حائق
 اليوم ، ونفسي من الحنق منقبضة رباه إنني
 تعب اليوم (يصرخ) أيها الخادم ! . . .

٥

(سميرنوف ولوقا)

لوقا : (يدخل) ما حاجتك ؟
 سميرنوف : ايتني بقدر من الكفاس * أو الماء

(يخرج لوقا)

سميرنوف : (يخاطب نفسه) وأي منطق هذا ؟ . . رجل بحاجة ماسة
 إلى المال ، ويهدد نفسه بالشنق إن لم يحصل عليه فيأتي
 إلى هذه السيدة طالباً دين زوجها ، فتأبى الدفع لأنها غير

* شراب روسي يستخرج من الخبز الأسود .

مستعدة اليوم للحديث في المسائل المالية . . . حقاً إنه لمنطق
نسوى مُشوش . . . إنه الذى حدا بي إلى عدم حب النساء
أو التحدث إليهن ، وغدوت أشعر أنه يهون على الجلوس
على برميل بارود من أن أجلس إلى جانب امرأة وأتحدث
إليها ! . . . إننى جد مغتاظ من هذه السيدة. وأحس برعشة
تنتاب جسمى من شدة الغيظ . . . إننى لا أطيق رؤيتها ولا
رؤية مثيلاتها من المخلوقات الشعرية ، ويبدو لى أننى إن
رأيت إحداهن ولو عن بُعد فسترتعد فرائصى ، وسأصرخ
طالباً من الديدبان النجدة . . .

٦

(سميرنوف ولوقا)

لوقا : (يدخل ويقدم له الماء) السيدة مريضة . وهى غير مستعدة
لمقابلة أحد .
سميرنوف : أخرج ! . . .

(لوقا يخرج)

سميرنوف : تقول إنها مريضة ولا تستقبل أحداً ، وماذا يهمنى من أمرها؟؟
إننى باقى هنا وإن أخرج حتى تدفع لى مالى . . . (يخاطبها
بصوت عال) إن بقيت على فراش المرض أسبوعاً فسأبقى
إلى جانبك أسبوعاً ، وإن بقيت سنة فسأظل إلى جانبك
سنة أيضاً . . . سترين كيف آخذ حتى منك . . . يا أماه
« ماتوشكا » . . . ثقى بأن حدادك ، والنقر التى على وجنتيك
لن تؤثر فى . . . إننى أدرى بهذه النقر . . . (يصرخ من

النافذة مخاطباً سائق عربته (سيمون ! . . ارفع العدة عن
الفرس . . إننا لن نرحل عن هذا المكان على وجه السرعة . .
إننى باق هنا . . وأما أنت فاذهب وقل للجماعة فى الإصطبل
أن يقدموا الشوفان للخيل . . آه منك أيها البهيم ألا ترى
أن العنان اشتبك بساق الفرس الأيسر؟

سيمون : (متهكماً) لا بأس ! أ!

سميرنوف : (يرد عليه) سأريك ما المعنى من لا بأس . . .

سميرنوف : (يبتعد عن النافذة) . شىء ردىء . . حر لا يطاق . .

كلهم يرفض دفع المال . . . وبالأمس قضيت ليلة على أسوأ
حال ممكنة . . . وهذه السيدة تقول لى إنها تجر ثوب الحداد .

ونفسيها مضطربة . . . آه إننى أشعر بوجع فى رأسى . .

أشرب فودكا؟ . . أم ماذا؟ (يصرخ) أيها الخادم . . .

لوقا : ما الذى تريده؟

سميرنوف : ايتنى بكأس من الفودكا . .

(لوقا يخرج)

سميرنوف : (يجلس ويقلب النظر فى نفسه) لا بأس بى . . هيئة

حسنة . لباسى مغبر ، وخذائى موحل ، وجسمى قدر ،

وشعرى غير مرتب ، وحلتى معفرة بالتبن . فيأيتها السيدة ،

ما الذى حدا بك لأن تستقبلىنى كقاطع طريق ؟ . . .

(يتشاءب) حقاً . . إنها قلة حياء منى أن أظهر فى غرفة

استقبال كهذه وأنا على هذا الشكل . . ولكن لا بأس من

ذلك ، فإننى لم آت إلى هذا البيت ضيفاً وإنما دائئاً ، ولا

يطلب من الدائئين أن يظهروا بهندام حسن .

لوقا : (يدخل ويقدم الفودكا) أسمحون لنفسكم بالبقاء طويلاً

هنا يا سيدى ؟

سميرنوف : (بحق) ماذا ؟

لوقا : إننى . . . إننى . . . لا شىء . . . لقد أردت . . .

سميرنوف : مع من تتكلم . . . أصمت ! . . .

لوقا : (على جانب) لقد جلس هذا العفريت على رأسنا . . .

فياله من حمل ثقيل . . .

(لوقا يخرج)

سميرنوف : إننى حائق . . . وقد بلغ حتى درجة أحس معها كأننى

سأسحق العالم بأسره . . . رباه . . . أشعر بوعكة (يصرخ)
أيها الخادم !

٧

(بوبوفا وسميرنوف)

بوبوفا : (تدخل ذابلة العينين) سيدى الكريم . . . تعودتُ فى

وحدتى الطويلة الابتعاد عن الأصوات البشرية ، كما أننى
لا أطيق الصراخ بتاتاً . . . فرجائى ألا تقلق راحتى .

سميرنوف : لن أخرج من هذا البيت قبل أن تدفعى لى الدراهم .

بوبوفا : أفهمتك بلغة روسية أننى لا أحمل المبلغ الذى تطلبه الآن

فانتظر إلى بعد غد .

سميرنوف : ولى الشرف أن أفهمك بلغة روسية أيضاً أن المبلغ الذى

أطلبه يلزمنى اليوم وليس بعد غد . فإذا لم تدفعى لى دراهمى

اليوم ، فسأجد نفسى غداً مضطراً إلى الانتحار .

بوبوفا : حقاً إنك غريب الأطوار . قلت لك إننى لا أملك المبلغ

- الذى تطلبه الآن فما عساي أن أفعل ؟
- سميرنوف : فى حالة كهذه أرى نفسى مضطراً للبقاء هنا . . سأظل فى بيتك إلى أن أقبض المبلغ . سأجلس هكذا حتى تدفعى . . (يقفز فجأة) إننى أسألك سؤالاً صريحاً : أينبغى أن أدفع الفوائد أم لا ؟ . . أو تظنين أنى أمازحك ؟
- بوبروفا : سيدى الكريم ، رجائى إليك ألا تصرخ هنا ، فالمكان الذى أنت فيه ليس إصطبلًا . .
- سميرنوف : إننى لا أسألك عن الإصطبلات ، وإنما أسألك : أأدفع الفائدة المستحقة على غداً أم لا ؟
- بوبروفا : إنك لا تحسن السلوك فى الأوساط النسائية . .
- سميرنوف : إنك لعلى خطأ عظيم . . إننى أتقن السلوك بين النساء كل الإتيان .
- بوبروفا : كلا إنك تجهل ذلك تماماً ، إنك رجل غير مهذب ، فظ ، فالناس المؤدبون لا يخاطبون النساء على هذا الوجه الذى تخاطبنى به . .
- سميرنوف : حقاً إنها لقضية عجيبة . كيف تأمرين أن أخاطبك ؟ أخاطبك بالفرنسية أم بغيرها من اللغات ؟ (يتحدث إليها بغضب ، ويلتغ فى اللفظ) مدام ، جى فوڤرى
- (Je vous pris) إننى جده سعيد لأنك لا تدفعين لى الدراهم آه . . ياردون لأننى أزعجتك . . الطقس اليوم جميل جداً .
- ولباس الحداد الذى تلبسينه يليق بك ، وينسجم على قدك (يسير متبخراً) .
- بوبروفا : يا للحماقة والحشونة !
- سميرنوف : (يغيظها) يا للحماقة والحشونة . . إننى أسئء السلوك فى

أوساط النساء . . يا مولاتي لقد شاهدت في حياتي نساء
أكثر مما شاهدت أنت من طير الزرازير . . تبارزت ثلاث
مرات من أجل النساء ، وهجرت اثنتي عشرة امرأة ، وتسع
هجرني . . كانت لي أيام ماجنت فيها ، وغازلت ، وصارحت
بجبي . ونمقت الكلمات المعسولة ، وتبخترت في سيرى .
أجل كانت لي أيام أحببت فيها ، وتعذبت ، وذبت . .
وتجمدت ، وتأوهت في ضوء القمر وبكيت . . تذوقت
الحب العنيف في جميع أشكاله وألوانه ، وكنت أصرخ كما
تصرخ العقاقع ! . . كنت عاطفياً ، رقيق الحواس إلى
أقصى حد ، وأما الآن ، فلن أتأثر بالنساء كفاني ما رأيته
منهن ، وثقى بأنني لن أدفع الآن درهماً واحداً في سبيل العيون
السود والنظرات المغرية ، والشفاه الحمر ، والنقر على الوجنات ،
والأقمار ، والحمسات ، والأنفاس المتقطعة ! . . إنني لأعنى
بذلك حضرتك بالذات ، وإنما عنيت كل النساء . . فصغيراتهن
وكبيراتهن مدهنات منافقات نمامات حقودات كاذبات
حتى عظام الدماغ ! . . مهمومات حقيرات حائرات عديمات
الفهم والمنطق . . يبدوون في الظاهر وكأنهن مخلوقات شعرية
جزء من الأثير . . شبه آلهة . . وإذا ما تطلعت إلى نفوسهن
لا ترى فيهن إلا تماسيح عادية . . (يتشبث بكرسيه فيطقطق
ويتكسر) غير أن المثير في هذه التماسيح تصورها أن الحس
الدقيق هو من مميزات الخاصة . . فالمرأة لا تحب أحداً

سوى كلبها الصغير : وهي إن أظهرت للرجل حباً في الانتحاب والتنخع فقط . وإذا ما ضحى الرجل في سبيل حب امرأة وتألّم ، وبادلته هذا الحب فإنما بحركات الدلال محاولة القبض على أنفه بشدة ؛ فمن سوء طالعك يا مولاتي أن تكوني امرأة ! . . . وإنك ولا ريب اختبرت الطبيعة النسوية في ذاتك . . . بالله ، ألا أخبرتي صراحة : هل رأيت في حياتك امرأة أمينة مخلصه ثابتة الوفاء ؟ لم ترى طبعاً . لأن الأمينات الثابتات هن العجائز الكسيحات فقط . ويسهل على الإنسان أن يرى هرة بقرنين من أن يرى امرأة أمينة .

بوبوفا : المعذرة يا سيدى . . . فمن الأمين الثابت في الحب ؟ أهو الرجل ؟

سميرنوف : أجل ! . . . هو الرجل . . .

بوبوفا : (تضحك بحقد) الرجل أمين ثابت في حبه ! . . . يا له من نبأ جديد ! . . . (بجدّة) كيف تجيز لنفسك القول بأن الرجال أمناء ثابتون ! إن أحسن رجل عرفته في حياتي هو المرحوم زوجي . . . أحببته بكل جوانحي ، حب فتاة صبية مفكرة ، قدمت له صباى وسعادتي وحياتي وملكى . . . كنت أتنفس به . . . وأعبده كما يعبد الوثني صنمه . . . ومع ذلك كله كان زوجي - هذا الذي اعتبرته أحسن رجل بين الرجال - يخونني كلما سنحت له الفرص . . . ولقد عثرت في درج مكتبه بعد وفاته على صندوق مليء بالرسائل الغرامية . وكان في حياته - وبالفضاعة الذكرى - يتركني وحيدة أسابيع كاملة . ولا يتورع عن التودد إلى النساء أمامي ، فيخونني ، ويبذر نقودي ، ويستخف بشعوري . . . وبالرغم

من مسلكه الشائن هذا : كنت أكن له الحب والإخلاص .
والأنكى من ذلك أننى لا أزال ثابتة على حبي له حتى بعد
مئاته . . لقد حكمت على نفسى أن أدفن بين جدران هذا
البيت إلى الأبد ، وأن لا أنزع عنى ثوب الحداد هذا حتى
أنزل إلى القبر وراءه . .

سميرنوف : (يضحك بسخرية) حداد ! . . لا أفهم . . من تظنينى .
كما أننى لا أدري السبب الذى يحمك على أن ترتدى السواد ،
وتقبرى نفسك بين أربعة جدران فى بيت . . حقاً إن حياتك
هذه لشعرية محاطة بهالة من الأسرار الخفية . إنك ولا ريب
تودين أن يمر ببيتك أحد تلامذة المدرسة الحربية ، أو شاب
شويعر . . فيتطلع إلى نافذتك ويقول : « هنا تقطن تمارا . .
ذات الأسرار . . التى دفنت نفسها بين جدران منزلها فى
سبيل حبا لزوجها » أجل . . نحن أدري بهذه الألاعيب . .
أيها السيدة . .

بوبروفا : (نائرة) ماذا ؟ . . أتجرؤ على أن توجه إلى مثل هذا
الكلام ؟

سميرنوف : لقد دفنت نفسك حية ، ولكنك لم تنسى أن تضعى المساحيق
على وجهك !

بوبروفا : كيف تتجاسر وتخطبنى على هذا النحو ؟

سميرنوف : رجائى إليك ألا تصرخى فى وجهى ، واسمعى لى أن أنعت
الأشياء بأسمائها . إننى لست وكيك ، كما أننى لست
امرأة . . فمن عادتى أن أعرب عن رأى فى صراحة . أمل
ألا أسمع صراخك ثانية .

بوبروفا : إنك أنت الذى تصرخ فى بيتى . . ألا تتفضل وتركنى

في هدوتى !

سميرنوف : ادفعى لى تقودى ومن ثمّ أغادر هذا المكان . .

بو بوفاف : لن أدفع لك شيئاً .

سميرنوف : بل تدفعين .

بو بوفاف : ونكاية فياك . . ان أدفع لك كوبيكاً واحداً . . هلا

تدعنى وشأنى ؟

سميرنوف : ثنى بأنه لا يسرنى بتاتاً أن أكون خطيبك أوزوجك فأحسنى

المخاطبة ولا تتحرشى بى (يجلس) إننى أمقت المشاكل .

بو بوفاف : (بغضب شديد) أتجلس أيضاً . .

سميرنوف : أجل .

بو بوفاف : تفضل واخرج .

سميرنوف : ادفعى لى مالى (يمتحنى جانباً) إننى حائق اليوم . . إننى

لحد حائق .

بو بوفاف : ألا تفهم ؟ إننى لا أود التحدث إلى الوقحين ! تفضل

وانصرف . .

(وقفة)

بو بوفاف : ألا تخرج ؟

سميرنوف : كلا . . .

بو بوفاف : كلا ؟

سميرنوف : كلا . . .

بو بوفاف : لا بأس (ترن الجرس)

٨

(بوبوفا . . سميرنوف . . لوقا)

- بوبوفا : لوقا . . أخرج هذا السيد ! . . .
 لوقا : (يتقدم من سميرنوف) أيها السيد . . لقد صدر الأمر
 بخروجك حالا من البيت . فليس لديك ما تفعله هنا .
 سميرنوف : (يقفز) اصمت . . وإلا صنعت منك « سلطنة » !
 لوقا : (يرتعد رعباً) رباه . . يا أصحاب الكرامات . . (يقبع
 على الكرسي) يكاد يغمى على . . شىء منك . . .
 بوبوفا : أين داشا ؟ . . داشا ! . . (تصرخ) داشا ! . . يلاغيا!
 داشا ! . . (ترن الجرس) .
 لوقا : ذهب كل من في البيت إلى الحرج ليجمعوا التوت البرى . .
 آه يكاد يغمى على : ايتونى بالماء . . .
 بوبوفا : تفضل وانصرف .
 سميرنوف : ألا يحسن بك أن تخاطبيني بلطف ؟
 بوبوفا : (تجمع قبضتها وتضرب الأرض بقدميها) أنت فلاح . .
 دب فظ . . وحش هائل . .
 سميرنوف : ماذا ؟ . . ماذا تقولين ؟
 بوبوفا : قلت إنك دب . . ووحش مخيف . .
 سميرنوف : (يتقدم نحوها) بأى حق تهينيني ؟
 بوبوفا : أجل أهينك . . أوتظن أنى أخشاك ؟
 سميرنوف : أوتظنين أن كونك مخلوقة شعرية يخولك الحق بأن تهينيني
 دون أن يلحقك عقاب . إننى أدعوك إلى المباراة .

- لوقا : رباہ . . يا أصحاب الكرامات . .
- سميرنوف : إلى المباراة بالمسدسات ! .
- بوبوفا : إننى لا أخشاك ، برغم اعتقادك بأن لك حلق ثور ، وقبضتين قويتين ، هه . . حقاً إنك لدب فظ !
- سميرنوف : إلى المباراة . . إننى لا أسمح لأحد أن يحقرنى ، ولا يهمنى كونك مخلوقة ضعيفة .
- بوبوفا : (تحاول الصراخ) دب . . دب . . دب . .
- سميرنوف : لقد آن الأوان لكى نضع حداً لذلك الوهم الشائع القائل بأن الرجال وحدهم هم المحبسون على دفع ثمن الإهانات فما دامت المرأة تطالب بالمساواة فلتكن . . يا للشيطان . .
- بوبوفا : أتريد المباراة بإطلاق النار ؟
- سميرنوف : أجل . . وفى هذه اللحظة .
- بوبوفا : انتظرنى دقيقة واحدة . سأذهب وآتى بالمسدسات التى خلفها المرحوم زوجى . (تروح وتغدو على عجل) أية مسرة أجدها فى إفراغ رصاصة فى رأسك الدثني . . فيختطفك إبليس (تخرج) .
- سميرنوف : سأطلق النار عليها كما أطلقتها على عصفور . إننى لست طفلاً ، ولا خذوصاً ولا أعترف بوجود مخلوقات ضعيفة .
- لوقا : أبتاه . . وارحمتاه . . (يجثم على ركبتيه) كن طيباً . . وأشفق على هذا الشيخ . . تفضل واخرج من هذا البيت . . لقد كدت أهلك من الرعب ، وتريد المباراة أيضاً ؟
- سميرنوف : (لا يصغى إلى توسلاته) المباراة بالمسدسات هى المساواة فى الحقوق . وهذا هوأس الدعوة إلى تحرير المرأة ، فالجنسان

في هذه الحالة يكونان متساويين . سأطلق النار عليها
مبدئيًا ! . . . (متبهكماً) . . . « فليختطفك إبليس . . . وسأفرغ
رصاصة في رأسك الدُّبِّي » . . . آية امرأة هذه ؟ لقد تحمست
واتقدت عيناها حنقاً ، وقبلت الدعوة بلا تردد . . . الواقع
أنني لأول مرة في حياتي أشاهد امرأة في مثل هذه الصلابة
والعناد .

لوقا : أبتاه . . . تفضل واخرج . . . وسأصلي لك طيلة حياتي ! . . .
سميرنوف : ما هذه المرأة ؟ حقاً إنها لامرأة بكل معنى الكلمة ، فهي
ليست من النوع المائع المتصنع ، وإنما هي شعلة بارود ،
شهاب ، وقتلها خسارة ! . . .
لوقا : (يبكي) أبتاه . . . رجائي إليك أن تخرج . . .

سميرنوف : إنني معجب بها . . . أجل . . . إنها لتعجبنى بالرغم من
النقر المنثورة على وجنتيها . . . وأجد نفسي على تمام الاستعداد
لأن أسامحها في الدين وأغفر لها إهاناتها ، حقاً إنها امرأة
عجيبة .

(سميرنوف ، لوقا ، بوبوفا)

بوبوفا : (تدخل وهي تحمل المسدسات) إليك المسدسات ! تفضل
أرني كيف تستعمل قبل أن نشرع في المبارزة . . . إنني لم
أقبض على مسدس طيلة حياتي .
لوقا : أنقذنا يا رب وارحمنا . على أن أهرع في طلب النجدة

من البستاني والسائس وغيرهما . . رباه . . من أين جاءنا هذا البلاء؟ (يخرج)

سميرنوف : (يقلب المسدسات) انظري . . هناك عدة أنواع للمسدسات منها ما هو خاص بالمبارزة ، ويعرف باسم مورتيميرا ، أما هذه التي في حوزتك فهي من طراز سميت وفيسون ، وتستعمل عادة للضرب المتركز . حقا إنها لمسدسات جيدة ، يباع الواحد منها اليوم بتسعين روبلا . . أما طريقة استعمالها فتقبضين على المسدس هكذا (يلتفت جانبا) رباه ما هذه النظرات . . امرأة شعلة ! . .

بوبوفا : أقبض على المسدس على هذا الشكل ؟

سميرنوف : أجل هكذا . . تصوبين الفوهة نحو الهدف . . وتجعلين رأسك يميل إلى الخلف قليلا ، أجل هكذا . . ثم تضغطين على هذا الزناد وينتهي الأمر . والأهم من ذلك كله ألا تحتدمي ، وأطلق النار بأعصاب هادئة ، واحذري أن تضطرب يدك .

بوبوفا : شكراً . . لكنني لا أستحسن المبارزة في الغرفة ، فلنخرج إلى الحديقة . .

سميرنوف : هيا . . لكنني أحيطك علماً بأنني سأطلق النار في الهواء !

بوبوفا : وما معنى ذلك ؟

سميرنوف : وأنت ما يعينك مما أفعل ؟ هكذا أريد ! . .

بوبوفا : أجبت أيها الرعديد ؟ . . آ . . آ . . آ . .

كلا لن يكون لك ما تريد . تفضل واتبعني . وأقسم لك بكل عزيز بأنه لن يهدأ لي بال حتى أضرب بالرصاص جبهتك البغيضة هذه . . أجبت أيها الرعديد ؟ قل لماذا

عدلت عن المباراة ؟

سميرنوف : لأننى أعجبت بك !

بوبوفا : (تضحك بغیظ) لقد أعجبتك ! . . إنه يجرؤ ويقول

إننى أعجبتته (تشير إلى الباب) أخرج ! . .

سميرنوف : (يضع المسدس على المائدة دون أن يتموه بكلمة . ثم يأخذ

قبضته . ويسير نحو الباب ويقف ، فيتبادلان النظر لحظة

ثم يخاطبها) : ألا تزالين ساخطة علىّ ؟ إننى أيضاً مهتاج

حانق ولكن هل لك أن تفهمينى ؟ فالمسألة هى كما ترين

وبكلمة موجزة ، هى (يصرخ) وما ذنبى إذا ما أعجبت

بك ؟ . . إننى معجب بك أفهمين ؟ إننى على وشك

الوقوع فى هواك .

بوبوفا : اغرب عن وجهى ، وإلا أطلقت عليك النار .

سميرنوف : أطلقى النار علىّ ، فإنك لا تدركين السعادة التى أجدها

فى الموت مشيعاً بهاتين العيتين البراققتين العجيبتين . وأن

أقتل بمسدس تقبض عليه هذه اليد المخملية . . . لقد

جننت . . . ففكرى فى الأمر . . وأصدري حكمك . إننى

رجل شريف مؤدب ، وأملك دخلاً سنوياً يقدر بعشرة

آلاف روبل . . وإننى صياد ماهر أُصيب قطعة النقود فى

الهواء بطلقة واحدة . . عندى خيول ممتازة . . أفلا تريدین

أن تكونى زوجة لى ؟

بوبوفا : (حانقة تهز المسدس) هيا إلى المباراة . . أسرع ! . .

سميرنوف : لا أفقه شيئاً . . جننت . . أيها الخادم ايتنى بقدر من الماء .

بوبوفا : (تصرخ) هيا إلى المباراة . .

سميرنوف : جننت . . أحببت . . مثل الولد الصغير . . بل مثل

الأحمق . . (يمسكها من يدها وهي تصرخ من شدة الألم)
 أُحبك . . (يجثو على ركبتيه) أُحبك أكثر من جميع
 اللاتي أُحبتهن في حياتي . . هجرت اثنتي عشرة امرأة ،
 وتسع هجرنتي . لكنني لم أحب أية واحدة منهن بقدر حبي
 لك . . ها أنا إذا جاثم أمامك مثل الأحمق . . أطلب يدك ،
 فواخجلناه ! . . خمس سنوات انقضت لم أذق خلالها طعم
 الحب . فقد آليت على نفسي ألا أُحب . . وإذا بسهم
 الحب يصيبني في قابي على حين غرة إنني أطلب يدك ؛
 أفلا تجيبيني بنعم أو بلا ؟ أتأبين الإجابة ؟ لا بأس . . .
 (يقف ويتجه بسرعة نحو الباب) .

بوبوفا : قف !

سميرنوف : (يقف) نعم ! . . .

بوبوفا : لا شيء . . . اذهب . ولكن قف ! . . . كلا . . . اخرج

اخرج ! . . . إنني أمقتك . ولكن كلا لا تخرج ! . . .

إنني حائقة . . . إنني ساخطة . . . (تلتقي المسدس على

الطاولة) . . . لقد ورمت أصابعي من هذه الآلة الكريهة . . .

(تمزق مندبيلها من الحنق) ألا تزال واقفاً ؟ انصرف ! . . .

سميرنوف : الوداع ؟ . . .

بوبوفا : أجل اخرج (تصرخ) إلى أين أنت ذاهب ؟ قف ؟ . . .

اذهب ؟ . . . ريباه إنني حائقة ساخطة . . . لا تقرب مني

لا تقرب . . .

سميرنوف : (يقرب منها) يا لعجبي من نفسي لقد أُحببتك كما يجب

تلميذ المدرسة الإعدادية . . جثمت أمامك على

ركبتي وشعرت بموجة من الصقيع تمزق جسدي . . (ينجشونة)



أحبك ! . . . إننى كنت فى غنى عن هذا الحب ولم يخطر
لى ببال قط . . . وكيف أفكر فى الحب ، وعلى غداً أن
أدفع الفوائد للبنك الزراعى . . . وموسم الحصاد على الأبواب ،
وإذا بك تعترضين سبيلى ، (يطوقها من خصرها) إننى
لن أغتفر لك ذلك أبداً .

بو بوقا : ابتعد عنى . . . ارفع يدك عن خصرى . . . إننى أمقتك . . .
هيا إلى المبارزة ! . . .

(تقبيل متواصل)

١٠

(يدخل لوقا عليهما وهو يحمل فأساً . . . وبصحبته البستاني
يحمل مسحلة . . . والسائس يحمل شوكة حصاد ، وعددٌ من
العمال يحملون قطعاً من الخشب)

لوقا : (يراهما متعانقين) رباہ . . . يا أصحاب الكرامات !
(وقفة)

بو بوقا : (منخفضة العين) لوقا . . . قل لسائس الإسطبل أن لا يقدم
اليوم شيئاً من الشوفان للحصان « توبى » ! . . .

(يسدل الستار)

مفجوع رغم أنفه من حياة الاصطياف في الريف

أشخاص الرواية

إيفان إيفانوفيتش تولكاتشوف - رب عائلة .
 ألكسى ألكسيفتش موراشكين - صديقه .
 تجرى حوادث الرواية في بطرسبورغ في بيت موراشكين .
 (مكتب موراشكين حسن الفرش ، يجلس موراشكين وراء
 مكتبه ، فيدخل عليه تولكاتشوف وهو يحمل بين يديه
 زجاجة مصباح ، ودراجة أطفال ، وثلاث علب تحتوى على
 قبعات ، وورزمة كبيرة تتضمن ثوباً نسائياً ، وكيساً فيه
 زجاجات خمر ، وورزمة صغيرة أخرى ، يتطلع بعينين
 تأهتين ، ويرتمى على المقعد مهالكاً) .

موراشكين : مرحى إيفان إيفانوفيتش . . . إني جدمغتبط برؤياك . .
 من أين أنت آت !

تولكاتشوف : (يتنفس بصعوبة) آه يا عزيزى لى رجاء لديك أتوسل
 إليك ، أقرضنى مسدسك حتى الغد ! . . كن صديقاً
 صدوقاً وأقرضنى إياه . .

موراشكين : وما حاجتك بالمسدس ؟

تولكاتشوف : إني فى مسيس الحاجة إليه . . أبتاه . . أسعفى بقليل
 من الماء ، أسرع بالماء ، أجل لا بد لى من الحصول
 على المسدس ، لأننى سأسافر هذه الليلة إلى المصيف ،

وأخترق الأحراج المخيفة بمفردي ، وأرى أن أحمل مسدساً
حذر الطواريء . . أقرضني إياه . . أتبرسل إليك . .

موراشكين : كفاك هدراً يا إيثمان إيفانوفيتش . ما هذا الجور ؟ أنت
رب عائلة ، ومستشار دولة ، فاحجبل من نفسك . .

تولكاتشوف : وأى رب عائلة أنا ؟ إنني شهيد . . بل بهيمة حقيرة إنني
زنجى ، عبد منحط ، لا أزال أمني النفس في هذه الحياة ،
ولا أفعل شيئاً لينقلني إلى دار البقاء . . . إنني خرقه بالية ،
سخيف أحمق ، فما معنى عيشي هذا ؟ ألا ثقل لي لم
أنا عائش ؟ وما الذى يدعوني إلى تحمل كل هذه الآلام
المعنوية والجسدية . إنه ليرضيني أن أكون شهيد فكرة ما ،
ولكنني لن أقبل - بأية صورة من الصور - أن أكون
شهيد أثواب نسائية ، وزجاج مصابيح ! . . كلا لن أكون
ذلك . كفانى . .

موراشكين : لا تصرخ يسمعك الجيران . .

تولكاتشوف : دعهم يسمعون . . فالأمر عندي على حد سواء . . . فإذا
لم تقرضني المسدس فغيرك يقرضني إياه . . لقد تقرر الأمر ،
ولن أبى في عداد الأحياء بعد اليوم .

موراشكين : قف ، لقد قطعت عروتي ، تكلم بهدوء ، إنني ما زلت
أجهل الأمر الذى يؤلمك في حياتك .

تولكاتشوف : أتسألنى الأمر الذى يؤلمني في حياتي ؟ تفضل واسمع
قصتي ، سأعترف لك بحقيقة الأمر ، ولعل في اعترافي هذا
ما يخفف الحمل عن نفسي ، فلنجلس . . أصغ ، آه . .
أماه ، دعني أتنفس قليلاً . . . نخذ على سبيل المثل ما حدث
لي هذا اليوم : شرعت في عملي المصنفي في الديوان من الساعة

العاشرة صباحاً حتى الرابعة بعد الظهر، وكان الجو حاراً خانقاً،
 والذباب يشنها حرباً لا هوادة فيها . وكان الوضع غير طبيعي
 في الدائرة ، فالسكرتير في إجازته ، وخرابوف راح يتروح ،
 وصغار الموظفين لا يفكرون إلا في الاصطياف الريفى ، وفي
 الحب ، والحفلات المسرحية ، والأنكى من ذلك كله أن
 السكرتير بالنيابة مصاب بطرش في أذنه اليسرى ، وعاشق ..
 وهكذا ترى كل شىء هاجعاً مشلولاً في الدائرة ، في حين
 أن طلاب الحاجات يهرعون في خبيل من مكان إلى آخر
 دون طائل ، يسرعون ويتسابقون ، يهددون ويحتجون ،
 فيحدثون بلبله وتشويشاً عظيمين . . وكلهم بين مستفهم
 وصاحب مصلحة . وما أكاد أفرغ من هذا العمل الممل
 الذى يجرى على وتيرة واحدة ، ومثله مثل الإسفنجة تمتص
 الماء وتلفظه . . أجل ما أكاد أعادر الدائرة حتى تستولى على
 رغبة ملحة في أن أتناول الغداء ، وأستلقى على الفراش ،
 أطلب النوم الهنىء . ولكن أنى لى ذلك؟ أتذكر ساعتئذ أنى
 رب عائلة مصطافة وما أنا إلا خلعتها ، بل عبدها ومسحتها ..
 أجل أيها العزيز موراشكين لقد انتشرت في مصيفنا عادة
 جديدة لطيفة ، ومفادها أن المصطافات يشعرون بأن لمن من
 السلطة ما ينحولن الحق بأن يطلبن من الرجل المصطاف
 الذهاب إلى المدينة أن يجلب لمن معه كل ما هن فى حاجة
 إليه من ملابس ومأكل ولوازم بيتية أخرى ، وفي صبيحة
 هذا اليوم طلبت منى زوجتى أن أعرج على الخياطة وأن
 أوبخنها على إخراجها كمى الثوب عريضين ، وجعلها كتفه
 ضيقاً ، وسألتنى أن أستبدل بحذاء ابنتنا سونتسكه غيره ،

وأن أشتري لكتني شريطاً من الحرير ، وثلاث أذرع من القماش .. حملك أيها الصديق الصدوق ، سأقرأ لك القائمة منفصلاً (يُخرج من جيبه ورقة ويقرأ فيها) : « زجاجة مصباح ، أوقية طحال ، مسامير وبراغى بخمسة كوبيكات ، زيت خروع لميشا ، عشر أواق سكر ناعم ، وبودرة بعشرة كوبيكات ، وعشرون زجاجة بييرة ، ثم على أن أعرج على البيت وأن أجلب منه الطاس المعدني ، وعلبة السكر وزجاجة حامض الكربونيك ، وعلبة المسحوق الفارسي لمكافحة البق ، وزجاجة روح الحل ، وبالطو ميشا الحريبي ، وكورسيه المدموازيل شانسو » . هذه طلبات الزوجة والعائلة ، أما طلبات المعارف والجيران - ليت إبليس يختطفهم - فهي أن أشتري دراجة لأسرة فلاسين بمناسبة عيد ميلاد تولوديا ، وأن أدعو القابلة لتزور زوجة الرئيس العسكري فيخزين ، وأن أسلم خمس رسائل لبعض الأسرى في المدينة . .

وعلى ذلك يا أبتاه ، تراني في الفترة التي تتخلل انتهاء عملي في المكتب ، وقيام القطر أركض من مكان لآخر وأنا ألعن الحياة . . فن الحانوت إلى الصيدلية ، ومن الصيدلية إلى الحياطة ، ومن هذه إلى اللحم ، ومن هذا أعود ثانية إلى الصيدلية . . ويحدث أحياناً أن تعثر قدمي في مكان ، وأفقد نقودي في مكان آخر ، وأنسى أن أدفع ثمن البضاعة في مكان ثالث ، فيعدو ورأى صاحب البضاعة مثيراً ضجة فاضحة ، وأدوس على رداء سيده في مكان رابع . . أف . . إن هذه التمرينات المتوالية تجمد الدم في عروق الإنسان ، وتشل أعصابه وتجعله يحس طيلة ليله أن هناك من يكسر

عظامه . وأن تماسيح تراوده في أحلامه .

حسناً . لقد نفذت الطلبات والتوصيات ، وابتعت كل شيء فكيف لي بعدئذ أن أولف بين هذه الموسيقى المختلفة الألحان؟ كيف أضع مثلاً العلبه المعدنية الثقيلة مع زجاجة المصباح ؟ أو حامض الكربونيك مع الشاي ؟ أو زجاجات البيرة مع الدراجة ؟ إنها أشغال شاقة فرعونية . . ومن الواجب إنعام الفكر فيها ، إنها معضلة شديدة التعقيد . فكيفما حاولت تدبر الأمر ، والاحتياال عليه ، فلا مفر من أن يتهشم شيء مما أحمله : أو ينساب من بين يدي إلى الأرض . . ثم أدخل عربة القطار فأرى فيه ازدحاماً عظيماً فأضطر إلى الوقوف مسنداً بعض الرزم إلى ذقني ، ويتحرك القطار فيمواج المسافرين ويميل بعضهم على بعض ، وتنطير حوائجى هنا وهناك . . ويرتفع صراخ المسافرين من كل الجهات قائلين : لقد شغلت بحوائجك أما كن غيرك . . ارفعها وإلا استدعينا المفتش وسألناه أن ينزلك من القطار في أقرب محطة . . فأداريهم ، وأصبر على مضض ، وأتسمر في مكانى مثل الحمار العنيد ! . . واسمع الآن يا صديقى الصديق تنمة قصتى : وأخيراً أصل إلى المصيف وأحس بحاجة شديدة إلى الأكل ورغبة فى شرب كأس من النبيذ . . غير أن سوء الطالع يلازمى فى المصيف أيضاً ، فلا أكاد أبلغ البيت وأفرغ الحمل ، وألعق القليل من الحساء ، حتى تدخل على زوجتى وتقول لى : هيا إلى المسرح ، أو إلى حلقة الرقص ! وهل بوسعى أن أحتج ؟ فإننى زوج . . وكلمة « زوج » تعنى بلغة أهل الاصطيف « بهيمة » معدة للركوب وحمل

الأثقال . لا تجد من يشفق عليها حتى ولا جمعية الرفق بالحيوان ! . . .

فأسير مع زوجتي رهين أمرها . فنشاهد رواية « فضيحة في أسرة فاضلة » ، أو رواية « مرتيو » . فأصفق بإشارة منها ، ثم أعطس وأتئاب . . . هذا إذا ذهبنا إلى المسرح . أما إذا ذهبنا إلى حلقة الرقص فعلى هناك أن أبحث عن فرسان يراقصون زوجتي ! وإذا نعود إلى البيت من المسرح أو حلقة الرقص بعد منتصف الليل : أشعر في قرارة نفسي بأني جيفة لا تصلح إلا لتلقى إلى السباع والطيور الجارحة . وعند ما أبلغ ما أصبو إليه وهو الفراش أستلقي عليه : فتغمرنى الغبطة وأغمض عيني وأناام ، ويترأى لي أن كل شيء يحيط بي عذب لطيف شعري . فلا يصوت أطفال يقلق راحتي ولا زوجة تززعني . كل شيء هادئ دافئ . . . وعلى حين غرة أسمع (دزز . دزز .) يا لله ! البعوض ! « يشب » . أجل : البعوض الشقي الكافر اللعين « يهدد بقبضتيه » ، البعوض هو الإعدام الفرعوني ! .. هو محاكم التفتيش الإسبانية ! دزز . البعوض يدندن بصوت شاك محزن ، كما لو أنه يقدم لك استرحاماً ، وفجأة إذ بهذا اللئيم يلسعك فتقضي الساعات الطوال وأنت تحك جسمك .

ثم تنفث الدخان عليه ، وتهشه ، وتخفي رأسك تحت اللحاف دون جدوى ، وفي النهاية تبصق وتستسلم للعذاب وتقول : « تغذوا أيها المناكيد ! . . . » ولا تكاد تعتاد لسع البعوض حتى يتناولك نوع آخر من المنغصات ألا وهو مدرس الغناء . هناك طبقة من المغنين ينامون نهاراً ويسرحون ليلاً ، فيجوبون

بيوت محبي الغناء ويحيون فيها الحفلات أو يلتقون الدروس . .
وزوجتي مغرمة بالغناء ، ويأتيها أستاذها بين ليلة وأخرى ،
فيرفع صوته ، وتتبعه هي فيخطئها ، فتعيد الصراخ ، إنه
لعذاب أشد من لسع البعوض . . ويل لذلك المغنى حين ينشد :
« لا تقولى إن عهد الصبا قد اندثر فهأنذا أقف أمامك ثانية
مأخوذاً » يا له من مغن وغد . . . وبالها من تلميذة أنانية . .
يواصلان الغناء فينتزعان مني الروح : ولا أجد وسيلة لهدئة
نفسي إلا أن أتسلى بالنقر على صدغى إلى أن يكف المغنى
عن الغناء في تمام الساعة الرابعة صباحاً ، آه . . إلى بالماء
يا صديقى الصدوق . . وبعد ذلك أنام ساعتين فقط فأنهض
في الساعة السادسة صباحاً ، وأسرع إلى المحطة مجتازاً الطريق
الموحلة ، والضباب يكتنفنى من كل جانب ، والصقيع يسرى
في جسمى ، وأركب القطار وأبلغ المدينة ، ثم تبتدى الأغنية
من أولها !.. إنها لحياة منحطة ساقطة : لا أريدها لألد
أعدائى ، إننى مريض ، قصير النفس ، مصاب بحرقه في صدرى ،
ومعدتى لا تهضم الأكل ، وعلى عيني غشاوة ، وأحس
دائماً بأننى أخشى شيئاً أجهله ! . . ثق بأننى جننت .
(يتطلع هنا وهناك) أرجو أن يظل هذا الخبر سراً فيما بيننا
وسأذهب الآن إلى الطبيب تشتشيتو أو مرجيشسكى ليفحصنى .
آه يا صديقى ! لا يسمعك أن تتصور حالتى في أوقات ضيق
الصدر وتوتر الأعصاب ، فإذا ما لسعنى البعوض أو غنى المغنى
في بيتى بعد منتصف الليل ، تظلم الدنيا في ناظرى ، وأثب
فجأة ، وأركض في جميع أرجاء البيت كمن اشتعلت في ثيابه
النيران ، وأصرخ قائلاً : « أتعطش للدماء . . للدماء . . »

وتمتلكني في هذه الآونة الرغبة في أن أطعن أحداً بخنجر ،
أو أن أهوى بكرسي على رأس أحدهم . . هذا هو ما أوصلتني
إليه حياة الاصطياف . . ألا يوجد بين الناس من يمنحني
شفقته أو عطفه لا ضحكه وسخريته ؟

إنني مخلوق حي : أود العيش مثل باقي الناس . وقصتي هذه
ليست أنشودة هزلية وإنما هي فجيعة محكمة الحلقات . أصغ
إلى الآن : إن أبيت أن تعطيني مسدسك فامنعني عطفك
على الأقل !

موراشكين : إنني عليك لعاطف !

تولكاتشوف : هه . . . لقد بينت لي عطفك هذا . . الوداع ، إنني ذاهب
في طلب السمك ، والنقانق ، وبودرة الأسنان ، وغير ذلك
الشيء الكثير . . ثم . . إلى المحطة . .

موراشكين : أين يقع منزلك في مصيفك ؟

تولكاتشوف : بالقرب من نهر الرمة . .

موراشكين : (مغتبطاً) أحقاً تقول ؟ ألا تعرف هناك أين تسكن المصطافة
السيدة أولغا بافلوفنا فينبرغ ؟

تولكاتشوف : كيف لا أعرف ؟ إنها جارتنا ومن معارفنا .

موراشكين : أحقاً ما تقول ؟ يا لها من مصادفة حسنة . .

تولكاتشوف : عسى أن يكون الأمر خيراً . .

موراشكين : أي عزيزي وحببي . . ألا تود أن تقدم لصديقك خدمة
صغيرة ، كن عند حسن ظني بك . . وأعطني كلمة شرف
أذك مستنفذ لي رجائي .

تولكاتشوف : خيراً ! ماذا هناك ؟

موراشكين : أتوسل إليك أيها الصديق الصدوق أن تبلغ السيدة أولغا

بافلوفنا تحياتي ، وأن تخبرها أنني حتى معافى ، وأن تقبل
 يدها نيابة عني ، ثم أرجوك أن تأخذ لها هذا الشيء الصغير
 بيدك . . لقد سألتني أن أشتري لها ماكينة خياطة تدار
 باليد ، فاشتريتها غير أنني لم أختار في كيفية إرسالها لها ،
 خذها معك يا عزيزي . . . أرجوك ، ثم أتوسل إليك بهذه
 المناسبة أن تحمل لها أيضاً هدية مني ، وهي عبارة عن قفص
 فيه شحورور ، واحذر أن ينكسر باب القفص ويفلت
 الطير ، مالك تحديق في هكذا ؟

تولكاتشوف : ماكينة خياطة تدار باليد ؟ وقفص فيه شحورور ؟

موراشكين : إيثنان إيفانتش ماذا دهاك ؟ وما الداعي لقمآن وجهك ؟

تولكاتشوف : (يخبط الأرض بقدميه) ايتني بالماكينة ! . . . أين

القفص ! ؟ واجلس أنت عليهما أيضاً . . افترسني ، قطعني

(يهدد بقبضتيه) أتعطش للدماء . . للدماء . . للدماء ! . .

موراشكين : أجننت ؟

تولكاتشوف : (يهجم عليه) أتعطش للدماء . . للدماء ! . . .

موراشكين : (في هلع) لقد جنّ (يصرخ) بتروشكا . . ماريا . . .

أين أنتم ؟ النجدة يا ناس . . أنقذوني ؟ . .

تولكاتشوف : (يعدو في أثر موراشكين في الغرفة) أتعطش للدماء . .

للدماء ؟ . .

(يسدل الستار)

ضرر التبغ

الممثل الوحيد - إيفان إيفانوفيتش نيوخين ، زوج امرأة تدير مدرسة للموسيقى وتشرف على بانسيون للفتيات .

نيوخين (وقد أرخى شعر خديه : رحاق شاربيه وذقنه ، وارتدى فراكاً قديماً ، يدخل المسرح بخيلاء : فينحني أمام الجمهور ويعدل صدريته ويقول) : سيداتي الفاضلات . . . ولدرجة ما سادتي الأفاضل ، (يمشط شعر خده) لقد طاب من زوجتي أن ألتى في هذا الحفل محاضرة توجيهية ، فلم يسعني إلا أن أجي الطالب ! . . . وإليكم المحاضرة ما دام لا بد منها ، فالأمر عندي على حدٍ سواء . . . إنني لست في الواقع أستاذاً بل بعيد كل البعد عن مستوى العلماء ، ومهما يكن من أمر فلقد انقضت ثلاثون سنة من حياتي لم أنقطع خلالها عن العمل في معالجة مسائل لها من الخصائص العلمية ما لها . . . فكنت أنظرى على نفسي أفكر ، وأكتب أحياناً المقالات العلمية ، إنها ليست عامية دقيقة ، وإنما هي شبيهة بالعامية . . .

والشيء بالشيء يذكر ، فلقد وضعت في الأيام الأخيرة مقالة كبيرة عنوانها : « حول ضرر بعض الحشرات » وقد أثارت هذه المحاضرة إعجاب بناتي ، وبخاصة ذلك الموضوع منها الذي تناولت فيه البق وطرق مكافحته . وبعد أن ألقىت تلك المحاضرة مزقتها ولكن ثقوا أنني مهما كتبت في مكافحة البق فلا بد من استعمال المسحوق الفارسي ، ولا أخفي عليكم أن البق تسرب إلى بيانو بيتنا . . . أما موضوع محاضرتي لهذا اليوم فهو الأضرار التي تلحق بالإنسانية من جراء استعمال التبغ .

إنني من المدخنين . إلا أن زوجتي أرادت أن ألتقي عليكم اليوم
محاضرة عن ضرر التبغ . إذن لا مفر من ذلك . . .

فهاكم حديث التبغ ما دام ذلك الحديث هو المطلوب ، فالأمر
عندي على حدٍ سواء وإنني لأقترح عليكم ، أيها السادة الأفاضل ، أن
تعيروا محاضرتي هذه ، كيئما كانت ، ما تستحقه من اهتمام . وألفت
نظركم إلى أنه إذا كان بينكم من تخيفه المحاضرات العلمية الجافة ، أو
لا تعجبه بتاتاً فباستطاعته ألا يستمع إليها وينصرف (يعدل صديقرته) .

وأرجو من حضرات الأطباء الحاضرين ، بصورة خاصة ، أن
ينتهبوا إلى محاضرتي هذه ، إذ بوسع الكثير منهم أن يستمد منها الشيء
الوافر من المعلومات المفيدة . . . فالتبغ — عدا فعاليتها المضرّة — يستعمل
أيضاً في الطب . وأضرب لكم مثلاً على ذلك : إذا أخذنا ذبابة ووضعناها
في علبة الدخان ، فما من ريب في أن مصيرها الموت المتسبب عن تمزيق
جهازها العصبي ! . . .

فالتبغ هو أولاً نبات . . . من عاداتي سيدياتي وساداتي أن أغمز بعيني
اليمنى وأنا أحاضر ، فرجائي إليكم ألا تكثرتوا لذلك . . . إذ أنني على الجملة
عصبي المزاج ، وقد أخذت عيني بالغمز منذ الثالث عشر من أيلول
سنة ١٨٨٩ ، أي في ذلك اليوم الذي وضعت فيه زوجتي ابنتنا الرابعة
فارفارا . وبناتي كلهن ولدن في الثالث عشر من أشهر السنة . . . عفواً
(ينظر إلى الساعة) آمل ألا أكون قد انحرفت عن الموضوع . . . فالوقت
ضيق . . . لكن عليّ أن أقول لكم إن زوجتي تدير مدرسة للموسيقى ،
وتشرف على بنسيون خاص ، فهو ليس بنسيوناً على الوجه الأكمل وإنما
هو شبيه بذلك .

ولا أذيع عليكم سرّاً إن قلت لكم إن زوجتي تشكو دائماً من النقص
في المال ، مع أنها تملك ما يفيض عن حاجتها ، تملك أربعين أو خمسين

ألتأ من الروبلات ، في حين أنني لا أملك كوبيكاً واحداً . . آه . . ما عساي أن أقول لكم ؟ . إنني أعمل في البانسيون بمثابة مدير للإدارة ، فأشترى المواد الغذائية ، وأحاسب الخدم ، وأقيد النفقات ، وأخيط الدفاتر ، وأكافح البق ، وأنزّه كلب زوجتي ، وأتصيد الفئران . . وقد طلبت مني زوجتي في الليلة البارحة أن أقدم للطاهية اللدقيق والزيت لتصنع الفطائر للتلميذات ، ولما أعدت الطاهية الفطائر ، هرعت زوجتي إلى المطبخ لتعلن أن ثلاث تلميذات لا يردن أكل الفطائر لأن غُددهن متورمة . . وهكذا اتضح لنا أننا أعددنا كمية من الفطائر أكثر من المطلوب ، فما العمل ؟ لقد طلبت زوجتي في أول الأمر أن نحفظ بهذه الفطائر في السرداب ، ثم فكرت ملياً وقالت لي : « كل أنت هذه الفطائر أيها المغفل » ، ومن عادة زوجتي أن تدعوني وهي مضطربة النفس « بالمغفل أو الأفعى أو الشيطان » . وزوجتي دائماً مضطربة النفس . .

وخلاصة القول : أخذتُ منها الفطائر وبلعتها بلعاً لشدة جوعى .
وبالأمس مثلاً حرهتني زوجتي الغداء قائلة : « ليس من داع لإطعامك أيها المغفل » ، ولكن المعذرة ، سيداتي وسادتي ، (ينظر إلى الساعة) يبدو لي أنني ثرثرت وانحرفت عن الموضوع فلأتابع المحاضرة . .
حقاً إنكم تفضلون الاستماع إلى رواية حب ، أو قطعة موسيقية ، أو أغنية عذبة (يغني أغنية مطالعها) : « إننا لا نظرف بصرنا في عجاج الوغى ! » ، لا أذكر اسم مؤلف هذه الأغنية . . وبالمناسبة أحيطكم علماً بأن زوجتي ألتت على عاتق في مدرستها الموسيقية مهام أخر بالإضافة إلى الإدارة . .
فأنا أدرس الحساب والطبيعات والكيمياء والجغرافيا والتاريخ والآداب وغيرها . .

وتتقاضى زوجتي أجراً خاصاً على الرقص والغناء والرسم ، في حين أنني أتولى بنفسى تدريس التلميذات تلك الدروس . . أما مدرستنا الموسيقية

هذه . فتتبع في زقاق الكلاب الخمسة : في البيت رقم ١٣ ، ويخيل إلى أن السبب في فشلي في حياتي هو لأنني أسكن في بيت رقمه ١٣ ، ولأن بناتي ولدن في اليوم الثالث عشر من أشهر السنة ، ولأن بيتي يحتوي على ١٣ نافذه .. ما عساي أن أقول لكم؟ . بإمكان كل شخص منكم يريد مناوضة زوجتي بصدد إدخال بناته في المدرسة أن يزورها في بيتها في أي وقت يحلو له . أما برنامج المدرسة ، فيباع عند البواب بثلاثين كوبيكاً (يخرج من جيبه بعض النسخ من ذلك البرنامج) أتريدون أن نتقاسم هذه النسخ ؟ . . إن ثمن النسخة الواحدة ثلاثون كوبيكاً فمن يرغب في الشراء؟ . (سكون) ألامن راغب بينكم . . لا بأس أبيعكم النسخة بعشرين كوبيكاً . سكون . حقاً إنه لشيء محزن . . . أجل إن بيتي رقمه ١٣ . . لا أفجح في شيء . . لقد هرمت . . وسخفت . . فهأنذا أقف أمامكم محاضراً ، ويبدو لكم أنني مرح ، والواقع أنني أود من صمم قلبي أن أصرخ بكل ما أوتيت من قوة ، أود أن أطير إلى أقصى أطراف المعمورة . . آه ، ليس هناك من أبته شكواي وأذرف الدمع أمامه ، تقولون لي : وأين بناتك ؟ فمن هن بناتي هؤلاء ؟ إنني أحدثهن وهن يفهقهن . . ولزوجتي من البنات سبع . . كلا ، آسف أظن أنهن ست (على عجل) كلا ، هن سبع . . وكبراهن أنا وتبلغ من العمر ٢٧ سنة . . أما صغراهن فيبلغ عمرها سبع عشرة سنة .

سيداتي وسادتي (يتطاع يمئة ويسرة) إنني تعس ، لقد انقلبت رجلاً أحمق ، وتحولت إلى شيء تافه ، أتراءى لكم كما لو كنت أسعد الآباء . . . ولكن هل أجرؤ على الظهور بغير هذا المظهر ؟ تصوروا أنني قضيت ثلاثاً وثلاثين سنة مع زوجتي ، ولقد كانت هذه الحقبة من الزمن أفضل سني حياتي . . أي لست أفضلها على الوجه التام ، ولكنها تعاقبت مثل ملح البصر . فياليت الشيطان اختطف تلك السنين قبل أن تراني

وأراها . . . (يتطلع يمناً ويسرة) يظهر أن زوجتي لم تأت بعد ، وما دامت هي غائبة فسأحدثكم بكل شيء عنها . . . إنني أخشأها جداً . أخشأها عند ما تتطلع في وجهي بعينيها الملتببتين . . . أما بناتي فلن يتزوجن لأنهن محتجبات في البيت ولا يحتككن بالرجال ، يضاف إلى ذلك أن زوجتي لا تقوم الحفلات والسهرات في بيتها . إنها امرأة بخيلة ، سريعة الغضب ، سليطة اللسان ، وهذا ما ينفّر منها الناس . . . غير أنني أطلعكم على سر (يقرب من كوة الملقن) باستطاعة كل امرئ أن يرى بنات زوجتي في الأعياد الكبرى عند عمتهن نتاليا سميونوفنا ؛ وهي امرأة تعاني آلام الروماتزم وترتدي رداء أصفر نثرت عليهم بقع سوداء وكأنها الصراصير ! . . . ونتاليا هذه امرأة كريمة لا تبخل على إذا كانت زوجتي غائبة بالقليل من الخمر (يتقف رقبته بأصبعه الوسطى) * وأحيطكم علماً بأنني أسكر من كأس واحدة ، وأشعر براحة في النفس يلازمها في الوقت نفسه حزن أعجز عن وصفه . . .

لا أدري ما الذي يدعوني لتذكر سني شبابي ، وما الذي يحثني على الهرب ! . آه ! أو تعلمون (بصوت عال) كم أتعشق الهرب . . . أود أن ألتقي بكل شيء وأهرب دون أن أتطلع إلى الوراء . . . فإلى أين المفر ؟ لا فرق عندي بين مكان ومكان ، فالهم هو أن أفر من هذه الحياة الرخيصة ، القدرة ، المنحطة ، هذه الحياة التي حولتني إلى رجل أحرق حقير ، إلى هرم أبله يستحق الرثاء . أريد هجران هذه الزوجة الشريرة الحقود ، التي أذاقتني مر العذاب خلال ثلاث وثلاثين سنة . . . أريد الفرار من دروس الموسيقى والمطبخ ، ومن دراهم زوجتي ، وغيرها من صغائر الأمور . . . أريد أن يستقر بي المقام في مكان ناءٍ في الحلاء

* إذا أراد الروي أن يشرب الخمر عمد إلى النقف على رقبته بأصبعه الوسطى .

البعيد . فأنقلب هناك شجرة أو عموداً أو العوبة حقل . وأقبع تحت السماء الواسعة . وهناك أنسى . . . أنسى كل شيء
 المعذرة سيداتي وسادتي . . . أود ألا أذكر شيئاً عن ماضى أود أن أتزع عنى هذا الفراك القديم القدر الذى لازمنى منذ ثلاثين سنة نخلت (بتزع عنه الفراك) إليك عنى أيها الفراك . . . (يدوسه بقدميه) إليك عنى . . . إننى رجل مسن فقير حقير أكل على الدهر وشرب مثل هذه الصديرة (يعرض ظهره للجمهور) . . . لا أريد شيئاً بتاناً إننى أسمى وأشرف من أى طالب كان . لقد كنت يوماً فتى ذكياً ، تلقيت علومى فى الجامعة ؛ فراودتنى أحلام جمّة وراودتها واعتبرت نفسى شخصاً مستكملاً شروط الرجولة . وأما الآن فلا أريد شيئاً سوى الهدوء والراحة (ينظر يمينه ويسرة ويرتدى الفراك) .

سيداتي وسادتي

إننى لأرى زوجتى بين الستائر ، فهى تنتظرنى هناك (ينظر إلى الساعة) لقد انقضى الوقت فرجائى إليكم إذا سألتكم عن المحاضرة أن تقولوا لها إنها كانت موفقة . . . وإن المغفل كان خطيباً مفوهاً (ينظر يمينه ويسرة ويسعل) إنها تتطالع إلى ناحيتى (يرفع صوته) أجل . . . ولما كان التبغ يتضمن ذلك السم المريع الذى حدثتكم عنه الآن ، فإننى لا أنصح أحداً بالتدخين ؛ وأمنى نفسى بأن محاضرتى هذه (حول ضرر التبغ) ستأتى بالفائدة المرجوة . . . لقد قلت كل شيء . (ينحنى ويخرج بخيلاء)

(يسدل الستار)